بياض ما كان بالموموق ومزاج الصهباء بالماء أولى بصبوح مستحسن وغبوق
أي ليل يبهى بغير نجوم أو سماء تندى بغير بروق ويشبه أن يكون أخذ قوله
أي ليل يبهى بغير نجوم من قول الشاعر اشيب ولم اقض الشباب حقوقه ولم يمض من
عهد الشباب قديم رأت وضحا في مفرق الرأس راعها وشتان بيض بدو بهيم
تفاريق شيب في الشباب لوامع وما حسن ليل ليس فيه نجوم ولمحمود
الوراق مثل ذلك وهو قوله ما الدر منظوما بأحسن من شيب يحل بهامة الكهل
وكأنه فيها النجوم إذا جد المسير بها على مهل لا تبكين على الشباب إذا
يبكي الجهول عليه للجهل واشكر لشيبك حسن صحبته فلقد كساك جلالة الفضل
ولآخر في مدح الشيب لا يرعك المشيب يا ابنة عبد الله فالشيب حلية ووقار
إنما تحسن الرياض إذا ما ضحكت في خلالها الأنوار قال الشريف رحمه الله ولي في
هذا المعنى من قصيدة جزعت لوخطات المشيب وإنما بلغ الشباب مدى الكمال فنورا
والشيب إن فكرت فيه مورد لا شك يورده الفتى إن عمرا يبيض بعد سواد الشعر الذي
إن لم يزره الشيب واراه الثرى وممن عدل بين الشيب والشباب ومدح كل
واحد منهما طريح بن اسمعيل فقال والشيب للحكماء من سفه الصبا
بدلا يكون لذي الفضيلة مقنع والشيب غاية من تأخر حينه لا يستطيع دفاعه من يجزع
إن الشباب له لذاذة جدة والشيب منه في المغبة أنفع لا يبعد الله الشباب ومرحبا
بالشيب حين أوى إليه المرجع ومثله لآخر وكان الشباب الغض لي فيه لذة
فوفرني عنه المشيب وأدبا فسقيا ورعيا للشباب الذي مضى وأهلا وسهلا بالمشيب ومرحبا

فإذا سألك عبادي عني فإني الآية

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى وإذا سألك عبادي
عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم
يرشدون فقال كيف ضمن الإجابة وتكفل بها وقد نرى من يدعو فلا يجاب
الجواب قلنا في ذلك وجوه أولها أن يكون المراد بقوله أجيب دعوة الداعي أي
أسمع دعوته ولهذا يقال للرجل دعوت من لا يجيب أي دعوت من لا يسمع وقد
يكون أيضا يسمع بمعنى يجيب كما كان يجيب بمعنى يسمع يقال سمع الله لمن حمده يراد به
أجاب الله من حمده وأنشد ابن الأعرابي دعوت الله حتى خفت أن لا

يكون

يكون الله يسمع ما أقول أراد يجيب ما أقول وثانيها أن الله تعالى لم يرد بقوله
قريب من قرب المسافة بل أراد أنني قريب بإجابتي ومعونتي ونعمتي أو لعلمي بما
يأتي العبد ويذر ويسر ويجهر تشبيها بقرب المسافة لأن من قرب من غيره عرف
أحواله ولم يخف عليه ويكون قوله أجيب على هذا تأكيدا للقرب وكأنه أراد أنني قريب
قربا شديدا وأنني بحيث لا يخفى علي أحوال العباد كما يقول القائل إذا وصف نفسه بالقرب
من صاحبه والعلم بحاله أنا بحيث أسمع كلامك وأجيب نداك وما يجري هذا المجرى
وقد روي أن قوما سألوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا أربنا قريب فنناجيه
أم بعيد فنناديه فأنزل الله تعالى هذه الآية وثالثها أن يكون معنى الآية أني
أجيب دعوة الداعي إذا دعاني على الوجه الصحيح وبالشرط الذي يجب أن يقارن الدعا
وهو أن يدعوا باشتراط المصلحة ولا يطلب وقوع ما يدعوا به على كل حال
ومن دعا بهذا الشرط فهو مجاب على كل حال لأنه إن كان صلاحا فعل ما دعا به وإن
وإن لم يكن صلاحا لم يفعل لفقد شرط دعائه فهو أيضا مجاب على دعائه ورابعها
أن يكون معنى دعاني أي عبدني ويكون الإجابة هي الثواب والجزاء على ذلك
فكأنه قال إنني أثيب العباد على دعائهم لي وهذا مما لا اختصاص فيه وخامسها
ما قاله قوم من أن معنى الآية هو أن العبد إذا سأل الله تعالى شيئا في إعطائه صلاح
فعله به وأجابه إليه فإن لم يكن في إعطائه إياه في الدنيا صلاح وخير لم يعطه ذلك في
الدنيا وأعطاه إياه في الآخرة فهو مجيب لدعائه على كل حال وسادسها أنه تعالى
إذا دعاه العبد لم يخل من أحد أمرين إما أن يجاب دعاؤه وإما أن لا يجاب لكن يصرفه
عما سأل ودعي بحسن اختيار الله تعالى له يقوم مقام الإجابة فكأنه مجاب على كل
حال وهذا الجواب يضعف لأن العبد ربما سأل ما فيه صلاح ومنفعة له في
الدنيا وإن كان فيه فساد في الدين لغيره فلا يعطى ذلك إلا لأمر يرجع إليه
لكن لما فيه من فساد غيره فكيف يكون مجابا مع المنع الذي لا يرجع إليه منه
شيء من الصلاح اللهم إلا أن يقال دعاء مشروط بأن يكون صلاحا ولا
يكون فسادا وهذا مما تقدم ومعنى فليستجيبوا لي أي فليجيبوني وليصدقوا
رسلي قال الشاعر وداع دعا يا من يجيب إلى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب
أي لم يجبه قال الشريف رضي الله عنه وإذ كنا قد ذكرنا في المجالس المتقدمة لهذا
المجلس طرفا من الشعر في تفضيل الشيب وتقديمه والتعزي عنه والتسلي عن نزوله

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)